التَّرْبيَة في الفنون والعلوم

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ١: ١٨-٢١؛ مزمور ١٩: ١-٦؛ مزمور ٩٦: ٩؛ تكوين ٣: ٦؛ ١تيموثاوس ٦؛ أمثال ١؛ أيوب ٣٨.

آية الحفظ: «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (مزمور ١٩: ١).

يتضمن التَّعْلِيم ما يُسمّى «الفنون والعلوم». لكن عندما نتعلم أو نُعلِّم الفنون والعلوم مِن منظور الكِتَاب الْمُقَدَّس، فما الذي يعنيه هذا؟ هل نحن ببساطة نقترح إدراج آيات مختارة مِن الكِتَاب الْمُقَدَّس تتعلق بجانب معين مِن الطِّب الحديث أو تاريخ الفن، على سبيل المثال؟ من خلال القيام بذلك، يمكننا ربط الدروس العملية بقدرة الله المذهلة في خلق عالمنا المُركَّب والمعقّد. لكن مجرد إدماج آيات الكِتَاب الْمُقَدَّس في الكُتُب الدراسية ليس سوى جزء صغير مِن التَّعْلِيم الحقيقي – التَّعْلِيم الذي يُعْلِن تدبير الخلاص والفداء.

ولكي يعمل مثل هذا التَّعْلِيم حقًا، نحتاج إلى كلمة الله لتعلن لنا كيفية تعليم كلّ مَنْهَج دِراسِيّ، من العلوم الإنسانية إلى عِلم الأحياء الجزيئي. وبدون ذلك، يمكن أنْ نغفل عن عظمة الله وسيادته كخالق ومُعِيل لِعَالَمِنَا. عندما نتعلم أنْ نرى كيف ينظر الله إلى خليقته باعتبارها ذات أهمية بالغة، وبأنها مليئة بالأهداف، فإنّنا نَقْتَرِبُ أَكْثَر مِنْ فَهْم كَيْفَ يُمْكِن بَلْ وَيَجِبُ تَدْرِيس التَّخصّصات المعينة.

هذا الأسبوع سوف ننظر في بعض المبادئ المتضمنة في كيف يمكننا تدريس الفنون والعلوم مِن المنظور المسيحي ونظرته للعالَم.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السَّبْت القادم الموافق ٥كانون الأول (ديسمبر).

الأحد

٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر)

اللهُ وَحْدَهُ

هناك دليل على وجود الله الحي في كلِّ خليقته. وقد تكرّر هذا القول في كثير من الأحيان لدرجة أنه أصبح قولاً مأثورًا. عندما نفكّر، على سبيل المثال، في قصد الله مِن خلق هذا العالَم، العالَم الذي شرع البشرُ في الإضرار به وتشويهه، فقد نقترب مِن فهم كيف يمكننا تدريس الفنون والعلوم بشكل أفضل.

تمعّن في فترة الحَمْلِ البشري، على سبيل المثال. يخبرنا عِلم الأحياء أنَّ حياةً بشريةً ذكيَّةً تنبثق مِن بويضة واحدة مخصَّبة تنمو طيلة فترة حَمْلٍ مدتها تسعة أشهر. ونجد أمارات الخالِق المُحِب طوال هذه الدورة. فإنَّ محبة وحنان الله يمكن ملاحظتهما في المكان الذي فيه ينمو الجنين: فهو يقع مباشرة أسفل قلب الأم النابض باستمرار. وكلما كبر الجنين في الحجم، يتوسع بطن الأم أمام ناظريها. والأم الحبلى تُدرك دائمًا وجود جنينها في بطنها، تمامًا كما يُدرك أبونا السماوي وجود أبنائه ويعمل على رعايتهم والاهتمام الدائم بهم.

اقرأ رومية ١: ١٨-٢١؛ مزمور ١٩: ١-٦، ونحميا ٩: ٦. ماذا تخبرنا هذه النصوص الكتابية عن عمل الله كخَالِقٍ لنا؟

حتى بعد ٦٠٠٠ عام من الخطية، وبعد آلاف السنين من الدمار العالمي الذي أحدثه الطوفان، توجد أدلة قوية للغاية ليس حول الله كخالقنا وحسب، ولكن حول قوة ومحبة وإحسان هذا الإله كخالق لنا. إنّها أدلة قوية جدًّا لدرجة أنَّ بولس، في رومية ١: ١٨-٢١ يقول إنَّ أولئك الذين يرفضون الله سوف يكونون «بلا عذر» في يوم الدينونة، لأنّ ما يكفي عن الله يمكن معرفته من خلال عمل يديه. بعبارة أخرى، إنهم لن يكونوا قادرين على ادِّعاء الجهل وعدم المعرفة! وخاصة في زمن وعصر أصبح فيهما كثير من البشر يعبدون الخليقة بدلاً مِن الخالق. لذلك، فمِن المهم دائمًا أنْ يعملَ التَّعْلِيم المسيحي للفنون والعلوم مِن منطلق وفرضيّة أنّ اللهَ هو الخالقُ والمُعيلُ لكلِّ ما هو موجود. في النهاية، فإنّ أيّة أيديولوجيات وافتراضات تُنكر اللهَ أو تَستبعد وجوده يمكن أنْ تؤدي فقط إلى الخطأ. يعمل التَّعْلِيم الدنيوي في مجمله على افتراض عدم وجود الله؛ يجب ألا يقع التَّعْلِيم المسيحي في هذا الفخ، ولا يجب كذلك أنْ يعمل بطريقة مضمرة بناءً على المبادئ القائمة على افتراض أنَّ لا وجود لله. وفي كلتا الحالتين، البشر ميّالون للخطأ.

فكّر في العجائب المذهلة وَالْجَمَال في عالمنا، حتى بعد الخطية. كيف يمكننا أنْ نتعلم الحصول على الرّجاء والرّاحة من خلال ذلك، خاصة في أوقات المحن والمعاناة الشخصية؟

الاثنين

٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر)

جَمَالُ القَدَاسَة

نقرأ في مزمور ٩٦: ٩ ما يلي، «مَجْدٌ وَجَلاَلٌ قُدَّامَهُ. الْعِزُّ وَالْجَمَالُ فِي مَقْدِسِهِ.» كيف نستوعب هذا المفهوم، «الْجَمَالُ فِي مَقْدِسِهِ»؟ ماذا ينبغي أنْ يعني ذلك للمسيحي، وكيف يجب أن يؤثّر على ما نعلِّمَه عن الفنون والجمال، اللّذين غالبًا ما يرتبطان بهذا المفهوم؟

على الرغم من أنّه قيل إنَّ «الجَمَال في العين الناظرة»، يجب ألّا ننسى مَن هو الذي خلق العين، بَادِئَ ذِي بَدْءٍ (انظر أمثال ٢٠: ١٢). وعلى الرّغم مِن أننا يجب أنْ نكون حذرين حتى لا نعبد الخليقة نفسها (أنظر دراسة الأمس)، يمكننا أنْ نتعلم مِن جمال الخليقة عن الله، بل وعن محبته للجمال. فإذا كان عالمنا السّاقط لا يزال يبدو جميلاً، فمّن يمكنه أنْ يتصوّر ما كان عليه عالَمنا مِن جمال قبل السقوط؟ وهذا يعلّمنا أنَّ اللهَ هو في الواقع خالق الجَمال.

دراسة الفنون والعلوم يمكن، ومن ثم ينبغي، أَنْ تقرّبنا مِنْ صِفَاتِ وَقَلْبِ اللهِ. ولأننا جزءٌ مِن عمل الله البديع والنسقية العلمية الفريدة، يمكننا أيضًا معرفة المزيد عن هويتنا في يسوع.

«يريد الله أن يستمتع أولاده بحسن صنعته ويبتهجوا بالجمال البسيط المحتشم الذي زيّن به مسكننا الأرضي هذا، لأنّ الله يحب الجمال، ولا سيما جمال الأخلاق الذي يفضّله على كل زينة خارجية مهما كانت، ويشتاق إلى أن يرانا مرتدين جمالاً كجمال الزهور الهادئ العجيب» (روح النبوة، طريق الحياة، صفحة ٧١).

اقرأ تكوين ٣: ٦. ماذا تعلمنا هذه الآية حول كيف أن الجمال وحده ليس بالضرورة جيّد أو مقدّس؟ انظر أمثال ٦: ٢٥؛ ٣١: ٣٠.

كما هو الحال مع كلِّ ما خلقه الله، لدينا عدو يشوّه الخليقة ويستغلها. لا ينبغي أنْ يكون مِن المستغرب إذن أنَّ الجمال ومفاهيم الجمال يمكن استخدامها ضدّنا كذلك. وهكذا، فإنَّ

التَّعْلِيم المسيحي المسترشد بالكِتَاب الْمُقَدَّس، يجب أنْ يعلِّمنا أنْ نكون حذرين في فهم أنَّ ليس كل ما هو جميل هو بالضرورة جيّد أو مُقدَّس، وخاصة فيما يتعلق بالفنون.

ما هي بعض الأشياء «الجميلة» التي ليست بالضرورة مقدّسة أو جيّدة؟ أو، ما هي الأشياء الجميلة التي يمكن أن تُجْعَل غير مقدّسة أو تُجْعَل سيئة، اعتمادًا على الظروف؟ ما هو المعيار الذي نستخدمه لتحديد هذه الفروق؟

الثلاثاء ١ كانون الأول (ديسمبر)

خبراء في الخطأ

نحن نعلم أنَّ عالمنا به الكثير جدًّا مِن الفنون والفلسفة التي لا تجلب الإكرام والمجد لله. قد يجادل الكثيرون بأنَّه لا ينبغي للمسيحيين دراسة هذه المجالات من الأساس. يجب على المسيحيين مِن الأدفنتست السَّبْتيين التفكير بعناية في أعمالهم الخاصة، فيما يتعلق بالانخراط في مجالات معينة، ورعاية منشآت معينة، والتعاطي مع وسائل إعلام معيّنة. فينبغي لكلّ ما نقوم به أن يجلب المجد لله ويعمل على خلاص النّفوس الهالكة.

في ١تيموثاوس ٦، نُعْطى تعليمات واضحة حول ما هي المجالات التي يجب علينا تجنّبها، ولكننا نُعطى أيضًا شرحًا وافرًا لأسباب تجنّبها. في ١تيموثاوس ٦: ٩، ١٠، ما هي المجالات التي يحذّر منها بولس؟

اقرأ بقية ١تيموثاوس ٦. ما هي المجالات الرئيسية التي يؤيّدها بولس؟

لاحظ في ١تيموثاوس ٦: ٢٠ كيف يحذِّر بولس ممّا يُسمى «الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الاسْمِ». على الرغم مِن أنَّ بولس يتحدث عن سياق مختلف، إلا أنَّ المبدأ لا يزال قابلاً للتطبيق. بمعنى، فكِّر في كل المعلومات، كل التعاليم، كل المعتقدات، ليس فقط حاليًّا ولكن عَبْرَ تاريخ البشرية، التي كانت خاطئة تمامًا. حقًا، يمكن للناس أنْ يكونوا خبراء في الخطأ.

طوال ما يقرب من ٢٠٠٠ عام، أعتقد أذكى الناس في العالم، الخبراء، أنَّ الأرضَ تقبع ساكنة في مركز الكون، بينما النجوم والكواكب تدور دوائر مكتملة. تمَّ استخدام بعض

الرياضيات والعلوم المعقدة للغاية لدعم هذه الاعتقاد، على الرّغم مِن أنّه تبين لاحقًا أنَّ ذلك خطأ في كل شيء تقريبًا. وبالتالي، يمكننا أنْ نقول إنَّ هؤلاء الناس كانوا خبراء في الخطأ، وإنَّ ذلك التَّعْلِيم كان بالتأكيد «الْعِلْم الْكَاذِبِ الاسْمِ.»

العلوم البيولوجية اليوم، على سبيل المثال، مبنيَّة على فرضية أنَّ الحياة بدأت منذ بلايين السنين عن طريق الصدفة، مع عدم وجود لله، أو وجود هدف أو قصد وراء بداية هذه الحياة. في الوقت نفسه، نشأت كمية مذهلة من الأدبيات العلمية المعقدة والمفصّلة بناءً على هذا التَّعْلِيم. ما هي الدروس التي يمكن أن نستخلصها من هذا حول كيف يمكن للناس أن يكونوا خبراء في الخطأ؟ كيف يجب أن يؤثر هذا الإدراك على التَّعْلِيم المسيحي بشكل عام، وعلى تعليم العلوم بشكل خاص؟

الأربعاء

٢ كانون الأول (ديسمبر)

الحماقة والحكمة

اقرأ الأصحاح الأول من سِفر الأمثال. ماذا يعلّمنا هذا فيما يتعلق بما يجب أن يكون عليه التَّعْلِيم المسيحي الحقيقي؟

يرسم الكِتَاب الْمُقَدَّس مقارنة منتظمة بين الحماقة والحكمة. إن سِفْر الأمثال يُحسِن صنيعًا بتذكيرنا بمخاطر السلوك الطائش والبقاء بصحبة الحمقى. الفرق واضح: يروم الله إلى أنْ يسعى شعبه في طلب الحكمة وأنْ يحفظوها وأنْ يذخروها.

يستخدم طلاب الفنون والعلوم مواهبهم لاكتساب المعرفة ومواصلة التميّز في دراساتهم. ويفعل معلمو هذه التخصصات بالمثل. يمكننا أن نكون قادرين على التألّق الفني والإنجاز العلمي بسبب المعرفة والمَقْدرَة.

ومع ذلك، من وجهة النظر الْمَسِيحِيَّة، ماذا تعني معرفة الفنون والعلوم حقًا إذا لم تتضمن معرفة الفرق بين الصواب والخطأ، الخير والشر، والحقيقة والزيّف؟ كل ما على المرء فعله، على سبيل المثال، هو قراءة القليل عن حياة بعض أولئك الذين يُعتَبرون أعظم فنانين في العالم لنرى أنَّ وجودَ مَهارةٍ رائعة ما أو مَوهبةٍ فَذَّةٍ ما، لا يعني بالضرورة أنَّ أصحاب هذه المهارات أو المواهب لديهم حياة أخلاقية مستقيمة. يمكن للمرء أنْ يجادل، أيضًا، بأنَّ العلماء العظماء المنخرطين في عمل تصنيع أسلحة دمار شامل، بيولوجية أو كيميائية، قد يكونون على درجة عالية مِن التَّعْلِيم، وموهوبين للغاية، ولكن ما هي ثمار عملهم؟ كما ذُكِر من قبل، فإنَّ المعرفة في حد ذاتها ليست بالأمر الجيّد.

اقرأ أمثال ١: ٧. كيف تكشف هذه الآية السبيل الوحيد للتعليم المسيحي الحقيقي؟

كتب أحد الحاصلين على جائزة نوبل، وهو ملحد، ممّن يدرسون الكون والقوة المادية الكامنة وراءه: «كلما بدا الكون مفهومًا أكثر، كلما بدا غير ذي نفع أكثر.» ما الذي يجب أن يخبرنا به هذا عن كيف أنّ المعرفة في حد ذاتها يمكن أنْ تكون بلا معنى، بل والأسوأ من ذلك، هو أنها يمكن أن تؤدي إلى خطأ فادح؟

الخميس

٣ كانون الأول (ديسمبر)

أجابَ الرَّبُ أيوبَ

اقرأ الأصحاح ٣٨ من سِفر أيوب. ماذا يعلّمنا هذا الأصحاح عن الله، ليس كخالق وحسب، ولكن كمعيل وحافظ لكلّ الحياة؟ كيف ينبغي لهذه الحقيقة الهامة أنْ تؤثر على كيفية فهمنا للفنون والعلوم؟

«يعلّم الكثيرون أنَّ المادة تملك في ذاتها قوة حيوية، وأنَّ بعض الخواص معطاة للمادة، وأنها تترك لتعمل عن طريق نشاطها الفطري، وأنَّ قوانين الطبيعة تسير بموجب قوانين ثابتة لا يستطيع اللهُ نفسه أنْ يتدخل فيها. هذا هو العِلم الكاذب، وهو ليس له ما يؤيده مِن كلمة الله. إنَّ الطبيعة خادمة لخالقها .... وهي تشهد بوجود ذكاء وحضور قوة عاملة، تعمل في قوانينها وعن طريقها، ففي الطبيعة يوجد على الدوام عمل الآب والابن. والمسيح يقول: 'أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ'[يوحنا ٥: ١٧].» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٩٢، ٩٣).

المؤسف، وكما ذُكِر سابقًا، يعمل الكثير جدًّا مِن العلوم على افتراضات مادية إلحادية. وهذا يعني أنَّ عالِمًا ما يمكن أنْ يُحدّق في شيء غاية في الجمال، وفي أقصى درجات التعقيد، بل وحتى في أقصى درجات الجمال والتعقيد معًا، ومع ذلك قد يزعم ذاك العالِم أنّ هذا الشيء قد جاء إلى الوُجُود بالصدفة، دون أنْ يكون هناك أي قصد أو هدف وراء وجوده.

هذا هو، في الواقع، ما يزعمه العِلم طوال الوقت. فهو ينظر إلى الحياة على الأرض، بكل جمالها وتعقيدها – مِن الفراشات إلى البشر – على أنها لا شيء سوى نتيجة تفاعلات مواد كيميائية شَكّلت بالصدفة، على مرِّ بلايين السنين، حياة بسيطة تطورت مِن خلال الطَّفرات العشوائية والانتقاء الطبيعي، إلى كلّ ما يعيش ويتحرك ويتنفس اليوم.

يـرى العلمـاء أنّ فكـرة وجـود الخالـق الخـارق فـي حـد ذاتهـا هـي فكـرة «غيـر عمليـة»، نظـرًا لأنـه لا يمكـن اختبارهـا عَمليًّـا، وبالتالـي فهـي فكـرة لا يمكـن للعِلـم التَّعامـل معهـا. لكـنَّ هـذا الافتـراض ليـس هـو مـا يُقِـرّ بـه العِلـم فـي حـد ذاتـه (فـي الواقـع، يبـدو أنَّ العِلـم يُنـادي بالعكـس: فـكلّ جمـال العالَـم وتعقيـده يشـير، فـي واقـع الأمـر، إلـى وجـود خالـق). إذًا فهـذا الافتـراض، بـدلاً مـن ذلـك، هـو عبـارة عـن موقـف فلسـفي يفرضـه العلمـاء أنفسـهم علـى المَنْهَـج الدراسِـيّ.

لكـنّ المسـألة الأساسـية، مـع ذلـك، هـي أنَّ الكِتَـاب الْمُقَـدَّس يعلّمنـا أنَّ اللهَ لـم يخلـق كل شـيء وحسـب، بـل هـو يعيـل ويعتنـي بـكلّ شـيء أيضًـا. هـذا يعنـي أنَّ أي تعليـم مسـيحي حقيقـي للعلـوم يجـب أنْ يعمـل مِـن خـلال افتراضـات مختلفـة جذريًّـا عمّـا يدّعيـه العِلـم بشـكل عـام. حَتْمًـا سـيحدث تعـارض وتضـارب، خاصـة عندمـا يتعلـق الأمـر بالأصـول.

الجمعة

٤ كانون الأول (ديسمبر)

لمزيـد مـن الـدرس: يوجـد سـببان وراء خطـأ العِلْـم فـي فهـم أصـول الوُجُـود، هـذا علـى الرغـم مـن صحّـة اسـتنتاجاته بشـأن الكثيـر مِـن الأمـور: أولاً، إنَّ العِلـم، الـذي يَـدْرِس العالَـم الطبيعـي، يلجـأ فقـط إلـى العالَـم الطبيعـي للحصـول علـى إجابـات؛ ثانيًـا، يفتـرض العِلـم أنَّ قوانيـن الطبيعـة يجـب أنْ تظـل ثابتـةً. ومـع ذلـك، فهـذان الأمـران كلاهمـا علـى خطـأ عندمـا يتعلـق الأمـر بالأصـول.

انظـر إلـى النقطـة الأولـى، والتـي تتطلـب أسـبابًا طبيعيـة للأحـداث الطبيعيـة. هـذا يصلـح عنـد تتبـع الإعصـار، لكنـه عديـم الجـدوى عندمـا يتعلـق الأمـر بدراسـة الأصـول التـي تبـدأ بعبـارة «فِـي الْبَـدْءِ خَلَـقَ اللهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تكويـن ١: ١). مـاذا يمكـن للعِلـم، الـذي يُنْكِـر الأمـور الخارقـة للطبيعـة فيمـا يتعلـق بالأصـول، أنْ يعلّمنـا عـن أصـل الوجـود الـذي كان هـو أيضًـا خارقًـا للطبيعـة تمامًـا؟

ومـاذا عـن ثبـات الطبيعـة؟ يبـدو هـذا منطقيًـا، باسـتثناء أن رومية ٥: ١٢ تخبرنـا أنّـه «مِـنْ أَجْـلِ ذلِـكَ كَأَنَّمَـا بِإِنْسَـانٍ وَاحِـدٍ دَخَلَـتِ الْخَطِيَّـةُ إِلَـى الْعَالَـمِ، وَبِالْخَطِيَّـةِ الْمَـوْتُ، وَهكَـذَا اجْتَـازَ الْمَـوْتُ إِلَـى جَمِيـعِ النَّـاسِ، إِذْ أَخْطَـأَ الْجَمِيـعُ.» وبالتالـي فهـي تتحـدث عـن بيئـة طبيعيـة كانـت مختلفـة تمامًـا عـن أي شـيء يَدْرسَـه العِلـم الآن. إنّ العالَـم الـذي لـم يوجـد فيـه المـوت يختلـف اختلافًـا جذريًّـا عـن أي شـيء آخـر يمكننـا دراسـته اليـوم، وافتـراض أنَّهمـا كانـا متشـابهين للغايـة، بينمـا همـا ليـس كذلـك، سـيؤدي أيضًـا إلـى الخطـأ.

وبالتَّالـي، فـإنَّ العلـوم تخطـئ فـي فهمهـا لأصولنـا لأنهـا تنكـر جانبيـن أساسـيين متعلقيـن بالخَلِقيـة: القـوة الخارقـة التـي أوجدتهـا، والفجـوة الجذريـة بيـن الخليقـة الأصليـة ومـا هـو بيـن أيدينـا الآن.

أسئلة للنقاش

١. في الصف، تحدثوا عن مسألة الجَّمال. ما هو الجَّمال؟ كيف نُعَرِّفَه؟ كيف يمكن للشخص المسيحي تعريف وفهم الجَّمال بشكل مختلف عن شخص غير مسيحي؟

٢. كان بمقدور يسوع أنْ يأتي إلى الأرض كعَالِمٍ لامعٍ، وكان سيكافأ بجزالة على أبحاثه الرائدة. كان يمكن أنْ يحظى بكلّ الشّهرة كمبدع في مجال الموسيقي. بدلاً من ذلك، جاء وتدرّب كحرفي متواضع. كان حاضرًا وفاعلاً في الخَلق، لكنه تدرّب كشخصٍ عادي وأدّى واجباته بطاعة عندما جاء إلى عالمنا متجسّدًا. ما هو التشجيع الذي يقدّمه لنا هذا الأمر، أينما كنا في رحلتنا التَّعْلِيمية أو المهنية؟

٣. على الرغم مِن أنه لا يتم دعوة كلّ مسيحي للتدريس في المدارس أو الجامعات، إلا أنّه يمكن للمسيحيين تعليم الآخرين بالقول والعمل، سواء عن قصد أو حتى دون أنْ يكونوا مدركين لذلك. لهذا السبب، ما هي العادات التي يجب على كل مسيحي تنميتها، كتلميذ للمسيح وكمعلِّم للعالَم؟